المبادئ الأخلاقية في الخطاب الديني الإنساني وتطبيقاتها التربوية

د. هشام أحمد سالم بني خلف
جامعة نجران- المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى بيان المبادئ الأخلاقية ذات العلاقة بالتعامل مع الإنسانية، ولتحقيق هذا الهدف أجاب الباحث عن سؤال الدراسة، وذلك من خلال استخدام الأسلوب التحليلي للآيات القرآنية ، فاستخلص الباحث مجموعة من الآيات ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة ، ثم قام الباحث بتحليلها وذلك بالرجوع إلى تفسير القرآن الكريم، وأسفرت عن النتائج التالية:

المبادئ الأخلاقية التي تشكل سلوك الإنسان وهي: المساواة بين البشر في أصل النشأة، الحكم بالعدل بين الناس، مراعاة حرية البشر في الاعتقاد الديني، منح الأمان لمن طلبه، تقدير قيمة الحياة الإنسانية، التعاون والتآلف في سبيل الخير.

الكلمات المفتاحية : المبادئ الأخلاقية، تربية أخلاقية، الخطاب الديني، الإنسانية.

Abstract

This study aimed to clarify the ethical principles that related of dealing with humanity. To achieve this aim, the researcher answered the question of the study by using the analytical method of the Qur'anic verses. The researcher concluded verses that are directly related to the subject of the study then the researcher analyzed them and reached the following results:

The ethical principles wich formal behavior Human are: Equality among human beings in the origin, the rule of justice among people, Respecting the human freedom of religious belief, Granting security to those who seek it, Appreciation of human life value, Cooperation and harmony for good situation.

Keywords:

Ethical principles, Moral education, religious discourse, Humanity

مقدمة الدراسة

إن الإسلام نظام ودستور للبشرية جمعاء ، فهو دين كلي شامل لكل مناحي الحياة المختلفة، والتربية المنبثقة من هذا الدين، ليست نظاماً تاريخياً لفترة من فترات التاريخ، وليست نظاماً محلياً لمجموعة من الناس في بيئة معينة، أو في عصر معين، إنما هي المنهج الذي ارتضاه الله لحياة البشر المتجددة ، لصياغة شخصية الإنسان شخصية متزنة متكاملة لتحقيق مسلك أخلاقي قويم في المجتمع الإنساني، إنها التربية التي أرادها الله تعالى لآدم عليه السلام أن ينشأ عليها هو وذريته، ونمت بذورها برسالة سيدنا نوح عليه السلام ، واكتملت برسالة سيدنا محمد ﷺ .

ولقد ارتبطت الأخلاق بالإنسان منذ وجوده في الجنة، حيث أمر الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام بطاعته وعدم معصيته، وأرشدهما إلى طريق الخير وطريق الشر، وكان خطاب الله تعالى لهم هدى ورشاد لضبط سلوكهم وفق منهج الله تعالى قال الله ﷻ : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (1)

ومنذ البدايات الأولى لتاريخ الإنسان على الأرض ظهر الشعور بالخير والحق والفضيلة، حينما رفض أحد أبناء آدم سلوك طريق الشر، فقام أخوه الآخر، بقتله حسداً متجاوزاً بذلك منهج الهدى المبلغ لأبيه آدم عليه السلام، حيث دار الصراع الذي انتصرت فيه إرادة الخير على إرادة الشر، بعد أن ندم القاتل على سلوك الشر الذي أودى به إلى قتل أخيه. قال الله ﷻ : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ.. ﴾ (2)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد استمر المنهج التربوي الأخلاقي الرباني المتمثل بمبادئ الخير والحق والهدى عبر تاريخ البشرية، كلما انحرف الإنسان عن تحقيق الهدف الأساسي والأسمى من غاية وجوده على الأرض وهي عبادة الله تعالى ، حتى اكتمل هذا المنهج برسالة سيدنا محمد ﷺ . قال الله ﷻ: ﴿ ..فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (3)

وإذا نظرنا إلى الشعوب التي عمرت الأرض، نجد أنها سلكت مذاهب أخلاقية شتى، وفق ما آمنوا به من مفاهيم حول الخالق سبحانه وتعالى والحياة الدنيا والحياة الآخرة وحول حقيقة خلق الإنسان، حيث شكلت المفاهيم حول هذه القضايا مبادئ أخلاقية، وجهت نمط حياتهم وتعاملهم مع الحياة.

والحديث عن المبادئ الأخلاقية في أي مجتمع لا يمكن فهمه إلا بفلسفة وعقيدة ذلك المجتمع ونظرته للكون والإنسان والحياة، فلا يمكن دراسة الأخلاق عند شعب من الشعوب أو أمة من الأمم أو شخص من الأشخاص، دون ربطها بنظرتها إلى هذه القضايا. والقرآن الكريم أعطى صورة متكاملة لحقيقة الوجود وخالقه، ومثّل منهاجاً متكاملاً للمبادئ الأخلاقية في كافة جوانب الحياة المختلفة.

إن وجود الإنسان على الأرض يحتاج إلى مبادئ أخلاقية تحكم سلوكه، وطريقة عيشه، وتفكيره، هذه المبادئ الأخلاقية تدخل في جميع جوانب حياة الإنسان، لأن كل عمل يقوم به الإنسان، لا بد أن يستند إلى مبدأ خلقي يوجهه ويسير في ضوئه.

ويرى يالجن (4) "أن المبادئ الأخلاقية التي جاء بها الإسلام والتي تنظم الحياة الأخلاقية ، تشمل شتى سلوك الإنسان لحياته الخاصة ولحياته مع غيره معاً ، وتلك المبادئ الأخلاقية تحمل قيماً مختلفة اجتماعية وعلمية وإنسانية وسياسية واقتصادية " .

مشكلة الدراسة

من يتأمل واقع العالم اليوم يستولي عليه الأسى والحزن، لما يرى من شرور ومفاسد وصراعات ومظالم، تدفع إليها الضغائن والأحقاد، أو المطامع والأهواء، أو الرغبة في التسلُّط والاستعلاء، ويقف العقلاء والحكماء أمام هذا الواقع المضطَّرب ليحلِّلوا أسبابَه أو يشخِّصوا داءَه، فإذا أعمل المرء بصيرته وعمق فكره وقع على أصل الداء وأساس البلاء بأن هناك أزمة أخلاق، ينبغي أن يبدأ منها العلاج والإصلاح.

لذلك هناك ضرورة ملحة للكشف عن المبادئ الأخلاقية للتربية الإنسانية في القرآن الكريم، لتقديم أنموذج واضح حول المبادئ الأخلاقية المرتبطة بالإنسانية، مما يسهم في وضوح الرؤيا حول السلوك الأخلاقي للفرد في تجاه غير المسلمين، وتكون بمثابة الموجه والهادي لمسيرة التربية في المجتمعات الإسلامية.

هدف الدراسة وأسئلتها

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن المبادئ الأخلاقية في خطاب الله تعالى في القرآن الكريم وذلك من خلال الإجابة عن السؤال التالي: ما المبادئ الأخلاقية المرتبطة بخطاب الله تعالى للإنسانية ودورها في تربية الفرد والمجتمع ؟.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة في كشف المبادئ الأخلاقية المتضمنة في آي الذكر الحكيم، والتي منحت "خير أمة أخرجت للناس" هوية أخلاقية متميزة عن باقي الأمم، ليجسدها المسلمون في واقعهم كمبادئ تساعد في تغيير وضعهم الراهن، وتسهم في إيجاد الفرد الواعي المدرك لحقيقة علاقته مع الإنسانية.

حدود الدراسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقتصر هذه الدراسة على الحدود الآتية :

- الاعتماد الكامل على القرآن الكريم في تحديد المبادئ الأخلاقية في خطاب الله تعالى للإنسانية.

تعريف المبدأ

يعرفه بودين [5] بأنه:" فكرة رئيسية، والقاعدة الأساسية للسلوك".

الأخلاق لغة

عند ابن منظور [6] الخُلق: المروءة، وتقول للذي ألف وصار شيئاً وصار ذلك له خُلُقاً أي قرن عليه، ومن ذلك الخُلق الحسَن، وحقيقته أنه وصف لصوره الإنسان الباطنة... ولهما أوصاف حسنه وقبيحة .

الأخلاق اصطلاحاً

الخلق بأنه: عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية [7].

مبادئ الأخلاق

يرى يالجن [8] أن هنالك مبادئ أخلاقية جاء بها الإسلام وهي تحدد بصفة عامة إرادة الله فيما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان في هذه الحياة سواء كان هذا السلوك متعلقاً بصلته مع الغير أو بالنفس، وهذه المبادئ متمثلة في القرآن الكريم والسنة بصورة قانونية أو تشريعية، وتعتبر هذه المبادئ معايير خارجية.

ويذكر يالجن [9] بعضاً من مبادئ الأخلاق الإسلامية وهي: مبدأ الواجب والعدالة والمساواة الإنسانية.

إجراءات الدراسة

- قام الباحث بدراسة الأدب النظري ذات الصلة بالأخلاق الإسلامية.
- قام الباحث بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بالخطاب الديني الإنساني، وذلك من خلال المصحف المفهرس لمواضيع القرآن الكريم.
- استخلاص المبادئ الأخلاقية من الآيات القرآنية.
- قام الباحث بوضع خط أسود تحت الكلمات أو الجمل التي تدل على المعنى المقصود في الآية.
- في حال غموض المعنى العام للآية، كان يعود الباحث إلى تفسير القرآن الكريم، لتوضيح المعنى المراد من الآية الكريمة، وقد اعتمد الباحث على تفسير القرطبي.

نتائج الإجابة عن السؤال: ما المبادئ الأخلاقية المرتبطة بخطاب الله تعالى للإنسانية ودورها في تربية الفرد والمجتمع ؟

وللإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بتحليل الآيات القرآنية الدالة على الخطاب الإلهي للإنسانية، ثم استخلاص المبادئ الأخلاقية، وهي:

المبدأ الأول: المساواة بين الناس في أصل نشأتهم. يعلن الله سبحانه وتعالى أن الناس جميعا متساوون في أصل خلقهم، انطلاقا من خلق الله تعالى لهم من أصل واحد، ثم تفرقهم شعوبا وقبائل للتآلف والتعارف فيما بينهم فالمساواة في الإسلام قائمة دون تمييز في الجنس أو اللون أو اللغة أو المال فليس هناك جماعة أفضل من غيرها بحسب عنصرها الإنساني وانحدارها من سلاله خاصة، فالتفاضل بين الناس إنما يكون وفق معايير أخرى كالعلم والعمل، قال الله ﷻ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [10]. وقال الله ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[11]. وعموم بني آدم مفضلين على كثير من خلق الله تعالى ولم يخص جماعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دون أخرى، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(12)

وفيما يتعلق بالنساء فإن الله عز وجل قد ساوى بين الرجال والنساء في أصل النشأة، قال الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(13). فالرجال والنساء ويعودون يعودون في خلقتهم إلى أصل واحد.

وفي ظل هذا المبدأ يمكن للمربين السعي نحو تعميق منظومة من السلوكيات التربوية منها:

تجنب احتقار الأعراق والأجناس التي ينتمي إليها البشر، تجنب الإضرار بالبشر، حب الخير للبشر، تقديم يد العون والمساعدة للفقراء والمنكوبين بفعل الصراعات السياسية وحوادث الطبيعة، تقدير جميع البشر على الأرض، حيث يحزن لما يصيب الشعوب الإنسانية من نكبات وآلام ويسارع لمد يد العون للآخرين، تقدير قيمة الكرامة الإنسانية التي منحها الله تعالى للبشر.

المبدأ الثاني: الحكم بالعدل بين الناس. إن الإسلام رسالة تستهدف إقامة العدل ، وأنبياء الله تعالى بعثوا منذ بدء الخليقة لإقامة العدل بين الناس ورفع الظلم قال الله ﷻ :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...﴾ (14)

والمؤمن وغير المؤمن أمام قانون الإسلام سواء ، ولا يجوز أن يكون اختلاف الدين مدعاة للظلم وعدم الحكم بالعدل ، قال الله ﷻ: ﴿ وقال الله ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(15) . ويجب إقامة العدل حتى لو تعارض مع القرابة أو الصداقة، قال الله ﷻ ﴿...وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (16)

ولا يجوز اعتبار العداوة التي تقوم بين الناس مبرراً لترك العدل، قال الله ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (17)

وفي ظل هذا المبدأ يمكن للمربين السعي نحو تعميق منظومة من السلوكيات التربوية منها:

الدعوة إلى دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، التعامل مع الناس على أساس الأخوة الإنسانية، إزالة البغضاء والكراهية بين الناس، إزالة الفروق الطبقية بين الناس، سيادة قانون الإسلام في الأرض، سيادة الحق والعدل بين كافة البشر دون تمييز لعرق أو لون.

المبدأ الثالث : مراعاة حرية البشر في الاعتقاد الديني. لقد رفض الإسلام مبدأ الإكراه في دخول الناس إلى الإسلام، لأن الإيمان الحقيقي يأتي من خلال اقتناع عقلي، ورضى قلبي بناءً على الأدلة والبراهين، إن القرآن الكريم، وضّح مبادئ الإسلام بكل دقة وشمول، فمن شاء دخل بالإسلام مقتنعاً به، ومن شاء تركه وبقي على معتقده وما على الدعاة إلا أن يبلغوا رسالة الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم يتركوا الناس ليختاروا ما يشاؤون، قال الله ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ﴾ (18)

فالدعوة الإسلامية دعوة سلمية هادئة ، ونهاية الحوار الدعوي ليس إكراهاً ولا تشدد، وإنما مسالمة وتفرق محمود، قال الله ﷻ :﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (19) . وعلى الداعية المسلم أن لا يخاطب المخالفين في الدين إلا من خلال الوسائل التي حددها القرآن الكريم قال الله ﷻ : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ (20)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بيّن الله تعالى للرسول ﷺ أن وظيفته تقتصر فقط على الإبلاغ قال الله ﷻ : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ [21]. ويرفض الإسلام الإكراه وسيلة لدخول الناس في الإسلام قال الله ﷻ : ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[22]

ولقد أكد الإسلام على احترام مشاعر المخالفين في الدين فلا يجوز الإساءة إلى معتقداتهم وسبها. قال الله ﷻ: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [23]

فالإنسان ولد حراً، وما دام كذلك، فلا يجوز مصادرة هذه الحرية، إذا لم يتجاوز بها إلى الإضرار بالآخرين، والإسلام يحرم في القرآن الكريم اعتداء المسلمين على الشعوب الأخرى، فهو لا يجيز قتل النفس بمجرد أنها تدين بغير الإسلام، ولا يبيح للمسلمين قتال مخالفيهم في الدين لمخالفتهم في عقيدتهم، بل بأمر اتباعه معاملة مخالفيهم بالحسنى، قال الله ﷻ : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[24].

إن تعاليم الدين الإسلامي تقرر الحقيقة التالية وهي: لا إكراه لدخوله، وقد بيّن الله تعالى أن الإيمان بالله تعالى قضية قائمة على القناعة الكاملة، لا للإكراه فيها ولا غصب ولا إجبار، لأن الإسلام دين خاطب العقل والتفكير، فقد تبين لكل عاقل طريق الإيمان والرشاد من طريق الضلال والكفر ومن يؤمن بالله تعالى فقد اهتدى إلى طريق متين لا ينقطع. قال الله ﷻ : ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [25]

وفي ظل هذا المبدأ يمكن للمربين السعي نحو تعميق منظومة من السلوكيات التربوية منها:

الدعوة إلى دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والتعامل مع الناس على أساس الأخوة الإنسانية، إزالة البغضاء والكراهية بين الناس، إزالة الفروق الطبقية بين الناس، سيادة قانون الإسلام في الأرض وسيادة الحق والعدل بين كافة البشر دون تمييز لعرق أو لون.

وفي ظل هذا المبدأ يمكن للمربين السعي نحو تعميق منظومة من السلوكيات التربوية منها: التعاون بجميع صوره الاقتصادية والعلمية والبيئية، سيادة الإخاء الإنساني بين البشر، تجنب الصراعات الدينية.

المبدأ الرابع: منح الأمان لمن طلبه. يتعرض الإنسان أحياناً في وطنه، إلى ظلم واعتداء، وإلى تضييق وكبت للحريات، فيضطر الإنسان إلى مغادرة وطنه إلى مكان آخر، يستطيع فيه العيش بحرية وكرامة، وهذا ما حصل مع الصحابة حينما هاجروا من مكة إلى الحبشة طلباً للأمان والحرية. ولقد أكد الإسلام على توفير الأمان لمن طلبه من غير المسلمين أياً كانت جنسيته أو عقيدته أو لونه ، ويحمل المسلمين واجب توفير الأمن له متى لجأ إليهم، وذلك لأن من مقتضيات الصلة التي تربط الناس جميعاً، توفير الأمان لبعضهم البعض.قال الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ [26].

وفي ظل هذا المبدأ يمكن للمربين السعي نحو تعميق منظومة من السلوكيات التربوية منها: مساعدة المظلومين واللذين يطلبون الحرية، تقدير كرامة الإنسان.

المبدأ الخامس: تقدير قيمة الحياة الإنسانية. لقد وهب الله تعالى لكل إنسان الحق في الحياة، وحظر قتل الإنسان بغير حق، وقد جعل الله تعالى قتل نفس واحدة، كقتل الناس جميعاً، وتركها على قيد الحياة، كأنما أحيا الناس جميعاً قال الله ﷻ : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ [27]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ظل هذا المبدأ يمكن للمربين السعي نحو تعميق منظومة من السلوكيات التربوية منها: تقديم يد العون والمساعدة لضحايا الصراعات السياسية والعرقية والكوارث الطبيعية، الابتعاد عن إزهاق أرواح الناس الأبرياء، التحذير من خطورة أسلحة الدمار الشامل، النووي والكيماوي والجرثومي على أمن وسلامة الأرض والجنس البشري.

المبدأ السادس : التعاون والتآلف في سبيل الخير. تعاون الشعوب وسيلة للتقدم الحضاري ونشر المعرفة ووسيلة من وسائل التعرف على عادات الشعوب وتقاليدها مما يسهل التقارب الإنساني ويسهل الدعوة إلى الإسلام، ولقد بين الله تعالى الحكمة من جعل البشر شعوباً وقبائل وذلك من أجل التعارف، قال الله ﷻ :﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (28).

وفي ظل هذا المبدأ يمكن للمربين السعي نحو تعميق منظومة من السلوكيات التربوية منها: التكافل الاقتصادي العالمي حيث تكفل الدول الغنية الدول الفقيرة، القضاء على الصراعات السياسية والثقافية والاقتصادية، السعي نحو القضاء على الأمراض المستعصية، السعي نحو القضاء على مشكلة البطالة والأمية، السعي نحو القضاء على الفقر والمجاعة، مساعدة شعوب العالم للعيش في بيئة مناسبة يسودها السلام والحرية، تحرير الأرض والجو من الفساد والتلوث القاتل.

مناقشة نتائج الإجابة عن السؤال : ما المبادئ الأخلاقية المرتبطة بخطاب الله تعالى للإنسانية ودورها في تربية الفرد والمجتمع ؟

لقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك مبادئ مرتبطة بخطاب الله تعالى للناس كافة، أولها: المساواة بين الناس في أصل نشأتهم، فقد أعلن الله تعالى المساواة بين البشر، انطلاقا من خلقهم من اصل واحد، فلا تمييز في الإسلام بين الناس على أساس الجنس أو اللون أو اللغة أو المال أو الدين أو الأصل. وفي واقع البشر، على امتداد الحقب التاريخية، استعبد الإنسان أخاه الإنسان، واحتقره، وأذله، وفضلت البشرة البيضاء على البشرة السوداء، واعتبرت بعض الشعوب أفضل من غيرها، بل هي النخب الأول في نظرهم، بهذه المفاهيم اشتعلت الأرض بكثير من الحروب التي أهلكت الزرع والنسل في سبيل تحقيق أفضلية جنس على جنس. إن المساواة في أصل النشأة تفرض علينا أيضاً مساواة الرجل بالمرأة في أصل الخلقة فليس الرجل أفضل من المرأة، ولا المرأة كذلك، وتتم الأفضلية عند الله تعالى بالتقوى.

إن نظرة المساواة بين البشر في أصل النشأة، تجنب الإنسان كثير من المشاكل التي يعاني منها في ماضيه وحاضرة، أهمها حب السيطرة على الشعوب، واستنفاذ خيراتها بل تدميرها وإهلاكها، لغاية تحقيق السعادة لجنس آخر. وتفرض نظرة المساواة حب الخير للإنسانية والسعي لهدايتهم وتجنب الأضرار بهم.

وفيما يتعلق بمبدأ الحكم بالعدل بين الناس، فهو فوق الحقوق الشخصية وحقوق القرابة، وفوق التعصب للباطل، وهلاك الأمم يكون بظلم الآخرين واستباحة دمائهم بغير وجه حق، وإذا شاع الظلم وذهبت معاني العدل من نفوس أبناء المجتمع الإسلامي، كثر المظلومين، وذهبت حقوقهم. إن أمن الحياة وطمأنينة النفس لا تتحقق إلا بالعدل، فإذا فقد الإنسان العدل واستفحل الظلم والقهر، وسادت شريعة الغاب فإن الشعور بالأمن سيختفي.

وفيما يتعلق بمبدأ الإيمان بحرية البشر في الاعتقاد الديني، فهي من مقوّمات تكريم الإنسان وتفضيله من قبل الله تعالى، وهي العامل الأساسي في تطور الإنسان وارتقاءه وتحقيق المقصد الأساسي من وجوده وهو خلافة الأرض، حيث لا تتم إلا بإنسان مبدع منتج، وهذا لا يأتي إلا من خلال مبدأ الحرية، حيث يستطيع الإنسان ممارسة خياراته دون إكراه، ويتصرف دون أن يكون له تأثير على اعتقاده قولاً أو عملاً أو تفكيراً.

ومن ضمن الحرية الممنوحة للبشر، حرية الاعتقاد بنص قرآني لا يقبل التأويل، وهذا الاعتقاد قائم على الاقتناع العقلي، وليس للقهر والإذلال وسيلة لإقناع الآخرين بالإسلام،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد قام المسلمون بحماية أصحاب العقائد الأخرى ما داموا يعيشون في جوارهم، وقد حصل أن قام الرسول صلى الله عليه وسلم بالدفاع عن حلفاءه من بني خزاعة المشركة حينما اعتدت عليها قبيلة بنو بكر بدعم من قريش ولم يقم الرسول صلى الله عليه بإجبار بني خزاعة على ترك شركهم شرطاً للدخول في حلفه.

إن منح الله تعالى حرية الاعتقاد للإنسان، تكريماً وتشريفاً لهذا الإنسان المستخلف في الأرض وان منح حرية الاعتقاد الديني يدفع المؤمنين بالدين إلى الدفاع عنه بكل قوة وإيمان، أما إكراه الإنسان للدخول في الإسلام، فان تأثيره في الآخرين وفي الدعوة إلى الدين والى نشره تكون عديمة الجدوى.

وفيما يتعلق بمبدأ منح الامان لمن طلبه، فان من مقتضيات الصلة الإنسانية، أن يوفر البشر الأمان لبعضهم البعض، وهو أمان متعلق بالحفاظ على حياته، وتأمين الاطمئنان والسكون والراحة النفسية والاقتصادية، حتى يستطيع العيش بكرامة. إن الإيذاء وترويع الآمنين ، ليس في الحقيقة من الإسلام في شيء، فالإسلام أمان بكل معنى الكلمة ، وإن حصل ما يخالف ذلك، فالإسلام بريء من كل عمل يروع الآمنين ويقلق مضاجعهم. وحق الأمان لا يعني تأمين حماية حياة الإنسان المستجير فقط، وإنما أيضاً تأمين الظروف الملائمة التي تجعله آمناً على نفسه كتوفير المسكن والمأكل ومتطلبات الحياة الضرورية.

وفيما يتعلق بمبدأ تقدير قيمة الحياة الإنسانية، فان الإسلام حرم قتل النفس، سواء إيذاء الإنسان لنفسه من خلال تناول المحرمات كالمخدرات وغيرها، مما يؤدي الهلاك، أو من خلال قتل نفسه بالانتحار، أو إيذاء الإنسان لغيره بقتله أو محاولة إزهاق روحه، وذلك من منطلق اعتبار النفس ذات حرمة لا يجوز انتهاك حرمتها وعليه أن يحافظ عليها. إن تقدير قيمة الحياة الإنسانية، يستدعي العمل على حماية حياة البشر من الفقر والجوع وانعدام المأوى والتعليم والصحة.

ومما يناقض دعوى الحفاظ على الحياة الإنسانية، التسابق النووي والتسلح المدمر للأرض، وبناء أنظمة فتاكة بالإنسان والحيوان والنبات والجماد، وانبعاث الغازات السامة في الجو وتأثيرها على غلاف الجو وتغيير المناخ وعلى طبقة الأرض.

وفيما يتعلق بمبدأ التعاون والتآلف الخيرّ، فالأصل في تعامل البشر ووجودهم على الأرض، هو التعاون والتآلف لما يحقق خيرهم وخير الأرض. وحينما خلق الله تعالى آدم عليه السلام خلقه لغاية وهي خلافة الأرض وإقامة شرع الله تعالى فيها ، ولا يتحقق ذلك إلا بالتعاون والتآلف الخيرّ بينهم، مما يشكل عند البشر حس واحد، وسعي واحد، موجه نحو القضاء على الفقر والمجاعة وعلى الصراعات السياسية والمائية والغذائية وغيرها، وموجّه نحو مساعدة الشعوب المنكوبة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش:

1- الأعراف: 19 .
2- المائدة: 27-30
3- طه: 123 .
4- دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، مقداد يالجن، دار الشروق: بيروت، ط2، 1983: 52.
5- الموسوعة الفلسفية. روزنتال بودين ، ترجمة: سمير كرم، الطليعة :بيروت ،ط1، 1987 : 449.
6- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 2003: 109.
7- إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي، الهلال: بيروت، ط1، 2004: 66.
8- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، دار الشروق: بيروت، ط1، 1973: 82.
9- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، دار الشروق: بيروت، ط1، 1977: 76.
10- الأحقاف: 19.
11- الحجرات: 13.
12- إسراء: 70
13- النساء: 1.
14- الحديد: 25.
15- النساء: 58.
16- الأنعام: 152.
17- المائدة: 8.
18- الكهف: 29.
19- آل عمران: 64.
20- العنكبوت: 46.
21- الغاشية: 21-22.
22- يونس: 99.
23- الأنعام: 108.
24- الممتحنة: 8.
25- البقرة: 256.
26- التوبة: 6.
27- المائدة: 32.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com